# تفسير سورة يس كاملة

## بأسلوب بسيط

سورة يس

رامي حنفي محمود

تفسير سورة يس كاملة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

## سلسلة كيف نفهم القرآن؟ [١]

## ١. الربع الأول من سورة يس

- الآية ١: ﴿يس﴾: سَبَقَ الكلام على الحروف المُقطَّعة في أول سورة البقرة، وتُقرأ هذه الحروف هكذا: (ياسين).

- من الآية ٢ إلى الآية ٦: ﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾ (يُقسم الله تعالى بالقرآن، المشتمل على الحِكَم العظيمة والأحكام الجليلة)، قائلاً لنبيّه محمد: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (بوَحْيٍ من الله إلى عباده) ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ يعني إنك على طريقٍ مستقيم لا اعوجاجَ فيه (وهو الإسلام)، وقد كان هذا القرآن الحكيم ﴿تَنْزِيلَ﴾ الله تعالى ﴿الْعَزِيزِ﴾ في انتقامه من أهل الكفر والمعاصي، ﴿الرَّحِيمِ﴾ بمن تاب من عباده، وقد أنزلناه عليك أيها الرسول ﴿لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آَبَاؤُهُمْ﴾ أي لم يُنْذَرْ آباؤهم منذ فترة طويلة (وهم مُشركو العرب) (إذ لم يأتهم رسولٌ مِن بعد إسماعيل عليه السلام)، ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ أي لا يدرون عاقبة ما هم فيه من الشِرك والضلال، ولا يعرفون ما يُنَجّيهم من ذلك (وهو الإيمان والعمل الصالح)، (وكل أمّةٍ ينقطع عنها الإنذار تقع في الغفلة، وفي هذا دليل على أن الدعوة والتذكير بوعد الله ووعيده واجبٌ على العلماء والدُعاة، لإيقاظ المسلمين مِن غَفلتهم).

- من الآية ٧ إلى الآية ١٠: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ﴾: أي وَجَبَ العذاب على أكثر هؤلاء الكافرين (بعد أن عُرِض عليهم الحق فرفضوه)، وهم رؤساء الكُفر الجاحدينَ المُعاندين (كأبي جهل وغيره)، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يُصَدِّقون بالقرآن (رغم وضوح حُجَّته وقوة بَيانه)، ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾: أي جَعَلنا حال هؤلاء الكفار - الذين رفضوا الحق وأصرُّوا على الكفر - كمن جُعِلَ في أعناقهم قيود ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾: أي جُمِعَت أيديهم مع أعناقهم تحت أذقانهم ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ أي اضطروا إلى رفع رؤوسهم - لا يستطيعون خفضها - فلِذا هم لا يَكسبون بأيديهم خيراً، ولا يَخضعون برؤوسهم للحق، (وهذا كله تمثيلٌ لحالهم في التكبر عن قبول الحق، وفي امتناعهم عن فِعل الخير)، (ولَعَلّ المقصود من الأغلال التي في أعناقهم: أنها مَوانع الهداية في الدنيا، كالتقليد الأعمى، والكِبر والعناد، واتّباع الهوى، والانقياد وراء الشهوات).

---

[١] وهي سلسلة تفسير لآيات القرآن الكريم، وذلك بأسلوب بسيط جدًّا، وهي مُختصَرة من (كتاب: "التفسير المُيَسَّر" (بإشراف التركي)، وأيضًا من "تفسير السّعدي "، وكذلك من كتاب: " أيسر التفاسير" لأبي بكر الجزائري) (بتصرف)، عِلمًا بأنّ ما تحته خط هو نص الآية الكريمة، وأما الكلام الذي ليس تحته خط فهو تفسير الآية الكريمة.

- واعلم أن القرآن قد نزلَ مُتحدياً لقومٍ يَعشقون الحَذفَ في كلامهم، ولا يُحبون كثرة الكلام، فجاءهم القرآن بهذا الأسلوب، فكانت الجُملة الواحدة في القرآن تتضمن أكثر مِن مَعنى: (مَعنى واضح، ومعنى يُفهَم من سِيَاق الآية)، وإننا أحياناً نوضح بعض الكلمات التي لم يذكرها الله في كتابه (بَلاغةً)، حتى نفهم لغة القرآن.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ (هذا تمثيلٌ آخر لحالهم، وهي أن الدنيا زُيِّنَت لهم بما فيها من شهوات ومَناصب، فأصبحوا لا يرون غيرها، (فهو سَدٌّ أمامهم مانعٌ لهم من الإيمان)، وكذلك صُوِّرَتْ لهم الآخرة بصورة مستحيلة الوقوع، (فكانَ هذا سَدّاً لهم مِن خَلفهم يمنعهم من التوبة والتذكر، لعدم خوفهم من عذابها)، ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ يعني أعمينا أبصارهم عن الحق، بسبب عنادهم واستكبارهم، ﴿فَهُمْ﴾ لذلك ﴿لَا يُبْصِرُونَ﴾ أي لا يُبصرونَ رُشدًا ولا يهتدون، (وكل مَن قابَلَ دعوة الإسلام بالإعراض والعناد، فهو جديرٌ بهذا العقاب)، ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ﴾ أيها الرسول ﴿أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ﴾: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي لا يقعُ الإيمان في قلوبهم، لإصرارهِم على كُفرهم مِن بعد ما تبَيَّنَ لهم الحق.

- الآية ١١: ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾: يعني إنما الذي ينفعه تحذيرك: مَن آمَنَ بالقرآن واتَّبع ما فيه من أحكام، ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾: أي خافَ الرحمن، حيثُ لا يَراه أحدٌ غيره سبحانه، ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ﴾ لذنوبه، ﴿وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ وهو الجنة.

- الآية ١٢: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى﴾ (فنَبعثهم مِن قبورهم أحياءً يوم القيامة)، ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾ (مِن خيرٍ وشر)، ﴿وَآَثَارَهُمْ﴾ يعني: ونكتب أيضاً الخير والشر الذي دَلُّوا الناسَ عليه، فعَمل به الناس بعد موهم واقتدوا بهم (هذا إن لم يتوبوا من ذلك الإضلال قبل موهم)، (واعلم أنه يدخل في ذلك أيضاً: الولد الصالح والعلم النافع والصدقة الجارية، فكل هذا يكون في ميزان حسناهم بعد موهم)، ألاَ فليَهتم العبد بفِعل هذه الأمور قبل موته، لتنفعه بعد دخول قبره، وعليه أن يُحاسب نفسه ليكون قدوةً في الخير، يَقتدي به الناس في حياته وبعد مماته، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي حَفظناه وكتبناه في كتابٍ واضح - هو أمُّ الكتب - وهو اللوح المحفوظ.

- الآية ١٣، والآية ١٤، والآية ١٥: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ أي اجعل لقومك - المُصِرِّين على الشرك والتكذيب - مَثَلاً يَعتبرون به، وهو قصة أهل القرية ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ بوَحيٍ من عندنا، ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ أي رسولين (لدَعْوهم إلى توحيد ربهم وترك عبادة غيره) ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾ أي قوَّينا الرسولين برسولٍ ثالث، مِن عند الله تعالى، فـ ﴿فَقَالُوا﴾ لأهل القرية: ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾، ﴿قَالُوا﴾ لهم: ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ (فصِفاتكم كصِفاتنا، ولا فضلَ لكم علينا يُؤَهِّلكم أن تكونوا رُسُلاً)، ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ من الوحي عليكم، ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ يعني: ما أنتم إلا تكذبونَ علينا في ادّعائكم للنُبُوّة.

- الآية ١٦، والآية ١٧، والآية ١٨: ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم الرُسُل مُؤَكّدين: ﴿رَبُّنَا﴾ - الذي أرسلنا - ﴿يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ أي البلاغ الواضح لرسالته، وإظهار الأدلة التي أرسَلَنا بها، فـ ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم قومهم: ﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ أي تَشاءَمْنا بكم (ولَعَلّهم قالوا ذلك لانقطاع المطر عنهم بسبب تكذيبهم، فزعموا أن الرُسُل شؤمٌ عليهم)، فقالوا لرُسُلهم: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن دَعْوتكم لنا: ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ أي سوف نقتلكم رمياً بالحجارة ﴿وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا﴾ أي سوف يُصيبكم مِنّا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- الآية ١٩: ﴿قَالُوا﴾ أي قال لهم المُرسَلون: ﴿طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾: يعني شؤمكم وما يُصيبكم من الضرر: هو ناتجٌ عن شِرككم وفسادكم، فهو مُصاحبٌ لكم طالما أنكم على الشِرك، وقالوا لهم: ﴿أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾؟! يعني أإن وُعِظتم بما فيه نَجاتكم: تشاءَمتم وتوَعَّدتمونا بالرجم والتعذيب؟! ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ في العِصيان والتكذيب.

- من الآية ٢٠ إلى الآية ٢٩: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ أي مِن آخر المدينة ﴿رَجُلٌ يَسْعَى﴾ أي يَمشي مُسرِعاً، (وذلك حين عَلِمَ أن أهل القرية قد هَمُّوا بقتل الرُسُل أو تعذيبهم)، فـ ﴿قَالَ﴾: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ أي لا يَطلبون منكم مالاً على إبلاغ رسالة ربكم، ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ أي هُم على هدايةٍ من ربهم، وما هم بكَذّابين، بل هم مُحِقُّونَ فيما يدعونكم إليه من عبادة الله وحده، لأنه لا يَستحق العبادة غيره، ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ يعني: وأيُّ شيءٍ يَمنعني مِن أن أعبد اللهَ الذي خلقني ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد مَوتكم لِيُحاسبكم ويُجازيكم، ﴿أَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ عاجزة، بحيث ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ﴾ يعني إن أرادني الرحمن بسُوء: ﴿لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾: أي لا تملك هذه الآلهة دَفْع ذلك السُوء ولا مَنْعه، ﴿وَلَا يُنْقِذُونِ﴾: أي لا تستطيع هذه الآلهة إنقاذي مما أنا فيه؟! ﴿إِنِّي إِذًا﴾ يعني إنْ فعلتُ ذلك: ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي في خطأ واضح، ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ أي استمعوا إلى ما قُلته لكم، وأطيعوني بالإيمان.

♦ فلمّا قال ذلك، هَجَمَ عليه قومه فقتلوه، فـ ﴿قِيلَ﴾ (أي قالت له الملائكة بعد قتله): ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾، فـ ﴿قَالَ﴾ وهو في النعيم: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾: يعني يا ليتهم يَعلمون بغُفران ربي وإكرامه لي، بسبب إيماني به وصبري على اتّباع رُسُله حتى قُتِلت، فياليتَ قومي يؤمنون بالله فيدخلوا الجنة مِثلي، (وفي هذا بيانٌ لفضل مَن سعى إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

♦ ثم يقول تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ لِيُعَذِّبوهم بعد أن قتلوا ذلك الرجل الناصح، ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ يعني: ما احتاج الأمر إلى إنزال جُند من السماء (فهم أضعف من ذلك بكثير) ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ أي ما كان هَلاكهم إلا بصيحة واحدة صاحَها مَلَكٌ من السماء ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ أي مَيِّتونَ لا حياة فيهم (كالنار التي أُخمِدَت).

- الآية ٣٠، والآية ٣١، والآية ٣٢: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ يعني: يا حسرةَ العباد وندامتهم يوم القيامة إذا رأوا العذاب، فإنهم ﴿مَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ مِن ربهم في الدنيا ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ يعني ألم يَرَ أهل مكة المُكَذِبون ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ أي من الأمم المُكَذِبة قبلهم (كقوم نوح وعاد وثمود) ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: يعني إنهم لا يَرجعون إلى كفار مكة، (وهذا بيانٌ لعدم استطاعة رجوع المُكَذّبين إلى الدنيا ليؤمنوا ويتوبوا، بعد الهلاك الذي أصابهم بسبب تكذيبهم)، أفلا يتعظ كفار مكة فيتوبوا مما كان عليه هؤلاء المُكَذِبونَ السابقون، قبل أن يَهلكوا مِثلهم، ويتمنوا الرجوع إلى الدنيا فلا يستطيعون، ﴿وَإِنْ كُلٌّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ يعني: وما كل هذه الأمم التي أهلكناها وغيرهم، إلا مُحضرونَ جميعًا عندنا يوم القيامة للحساب والجزاء.

## ٢. الربع الثاني من سورة يس

- الآية ٣٣، والآية ٣٤، والآية ٣٥: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ يعني: وعلامةٌ لهؤلاء المشركين على قدرة الله على البعث: اننا أحيَيْنا هذه الأرض اليابسة (التي لا نباتَ فيها)، فأحيَيْناها بإنزال الماء ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ أي أخرَجنا منها حبوباً كثيرة، مِن مختلف أنواع النباتات (كالقمح وغيره) ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، (ومَن أحيا الأرض بالنبات، أحيا الخلق بعد المَمات)، ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ أي في هذه الأرض المَيّتة ﴿جَنَّاتٍ﴾ أي بساتينَ ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ (ولَعَلّ الله تعالى خَصَّ العنب والتمر من بين باقي الفواكه لمَكانتهما عند العرب وكثرة فوائدهما)، ﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾: أي فجَّرنا في الأرض المَيّتة عيوناً من المياه لتَسقيها، كُلُّ ذلك ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ أي الثمر الناتج من هذا النبات، ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾: أي لم تَخلقه أيديهم، بل يد الله هي التي خَلَقَته لهم رحمةً بهم ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: يعني ألاَ يشكرونَ ربهم على هذه النعم، فيُوَحِّدوه ويطيعوه؟

- الآية ٣٦: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ أي خَلَقَ جميع أصناف الفواكه والخُضَر من نبات الأرض، ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي خَلَقَ لهم من أنفسهم ذكورًا وإناثًا ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِن مخلوقات الله الأخرى، التي لا يعلمون عنها شيئاً، (فكما انفرد سبحانه بالخلق، فكذلك يجب أن يُعبَدَ وحده)، وسبحان الذي خَلَقَ جميع المخلوقات مِن ذكَرٍ وأنثى، وهو سبحانه الواحد الأحد الذي لا زوجَ له، فلا يحتاج إلى زوجةٍ أو ولد، لعدم حاجته لشيءٍ مما يحتاجه البشر، ولغِناه التام عن جميع خلقه.

- الآية ٣٧: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ﴾ - على توحيد الله وكمال قدرته -: ﴿اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نَنزع منه النهار ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ أي يُظلِم عليهم سواد الليل (ولا يَقدر على فِعل ذلك أحدٌ إلا الله سبحانه وتعالى).

- الآية ٣٨: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ يعني: وآيةٌ لهم على قدرة الله تعالى: الشمسُ تجري في فَلَكها إلى مكانٍ تستقر فيه بعد غروبها لا تتجاوزه، حيثُ إنها تسجد كل يوم تحت العرش لتستأذن ربها في الشروق، فقد ثبت في الصحيحين - البخاري ومُسلم - أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل "أبا ذر" حين غربتْ الشمس: (أتدري أين تذهب؟)، فقال: (اللهُ ورسوله أعلم)، فقال: (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذَن لها، ويُوشِك أن تستأذن فلا يُقبَل منها، وتَستأذن فلا يؤذَن لها، يُقال لها ارجعي مِن حيثُ جئتِ، فتطلع في مَغربها، فذلك قوله تعالى: {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ})، (واعلم أنّ كونها تسجد تحت العرش لا غَرابةَ فيه، إذ الكون كله تحت العرش).

﴿ذَلِكَ﴾ أي دوران الشمس في مَدارها إلى يوم القيامة هو ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الذي لا يَمنعه شيءٌ مما أراده في مُلكه، ﴿الْعَلِيمِ﴾ بكل خلقه.

- الآية ٣٩: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي جَعَلنا القمرَ آيةً في خلقه، إذ جعلنا له منازل يسير فيها كل ليلة، (والمقصود بالمنازل هنا: المواقع التي يظهر فيها القمر في كل ليلة من الشهر، وهي ثمانية وعشرون مَنزلة، ينتقل فيها القمر من هلال إلى بدر) ﴿حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ أي: ثم يعود في آخر الشهر ضئيلاً منحنياً (مِثل عِذق

النخلة الذي يَحمل التمر في فروعه)، وهو العود الأصفر اليابس المنحني، الذي يُستخدَم بعد ذلك في "الكَنس" والتنظيف.

- الآية ٤٠: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾: يعني لا يمكن للشمس أن تلحق القمر فتمحو نوره أو تُغيِّر مَجراه، ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ يعني: ولا يمكن للَّيل أن يَسبق النهار، فيَدخل عليه قبل انتهاء وقته، (فهما لا يختلطان أبداً إلا بدخول جزء من أحدهما في الآخر، وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾)، ﴿وَكُلٌّ﴾ من الشمس والقمر والكواكب ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾: أي يَجْرون في مدارهم الخاص بهم إلى نهاية الحياة، فلِذا لا يَصطدم بعضها ببعض، وإلاَّ لَفسَدَ الكون وتَدمَّر، فسبحانَ الله العظيم الحكيم المُهَيمِن على كَوْنه.

- من الآية ٤١ إلى الآية ٤٤: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ﴾ على إنجاء الله للمُوحِّدين وإهلاكه للمشركين: ﴿أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: أي حَمَلنا ذرية قوم نوح المؤمنين، فأنجيناهم في السفينة المملوءة بأنواع المخلوقات، ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾: أي خلقنا لهم سُفناً مِثل فُلك نوح - وهي السفينة - وغيرها من المراكب التي يركبونها لتُبلِّغهم أوطانهم، ويستخدمونها في تجاراتهم ونقل بضائعهم.

♦ واعلم أن قوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ فيه إشارة إلى تنوع السفن التي عَلَّمَ اللهُ الإنسانَ كيفية صُنعها (كالغواصات وغيرها).

♦ ثم أخبَرَهم سبحانه أنه قادرٌ على إهلاكهم بهذه النعمة التي سَخَّرها لهم إذا عصوا المُنعِم وعبدوا غيره، فقال: ﴿وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ﴾ وهُم في البحر ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: أي لا يجدون مَن يُغيثُ صراخهم عند غرقهم، ﴿وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ﴾: أي لا يستطيعون أن ينجوا بأنفسهم من الغرق ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾: يعني إلا أن نرحمهم فنُنجّيهم ونُمتّعهم إلى أجَلٍ مُعَيّن نشاؤه لهم؛ لَعَلّهم يَرجعونَ ويَتداركونَ ما فرَّطوا فيه في حق ربهم.

- الآية ٤٥، والآية ٤٦: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ﴾ أي لهؤلاء المشركين: ﴿اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ أي احذروا الدنيا وعقابها، واحذروا الآخرة وأهوالها (وذلك بالإيمان والاستقامة على الحق) ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ أي ليرحمكم الله تعالى، فإذا قيل لهم ذلك، أعرَضوا عن الاستجابة كأنهم لم يسمعوا، ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ تَهديهم للحق، وتُبيِّن لهم صِدق الرسول: ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ أي أعرَضوا عنها، ولم ينتفعوا بها.

- الآية ٤٧: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ يعني: إذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: ﴿أَنْفِقُوا﴾ علينا ﴿مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ (ولَعَلّ المقصود هنا: الرزق الذي زَعَمَ كفار مكة أنهم جعلوه لله، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ﴾)، فحينئذٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ - استهزاءً بهم - ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾؟ ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾: يعني ما أنتم يا أتباع محمد إلا في ضلالٍ ظاهر، لأنكم تطلبون منا ذلك، (ولم يعلم هؤلاء الجهلة أن الله تعالى قد ابتلى قوماً بالفقر وابتلى قوماً بالغنى، وأنه أمَرَ الفقراء بالصبر، وأمَرَ الأغنياء بالعَطاء).

- الآية ٤٨، والآية ٤٩، والآية ٥٠: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾: يعني متى يكون هذا البعث الذي تَعِدوننا به ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾؟، فرَدَّ الله عليهم بقوله: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي ما يَنتظر المُكَذِّبونَ بالبعث ﴿إِلَّا صَيْحَةً

﴿وَاحِدَةً﴾ (وهي نفخة الفَزَع عند قيام الساعة، والتي يموتونَ فيها جميعاً)، إذ ﴿تَأْخُذُهُمْ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ أي يَختصمون ويتجادلون في شؤون حياقم (كالبيع والشراء والأكل والشرب وغير ذلك) ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾: أي لا يستطيعون أن يوصوا أحدًا بشيء (كما يَفعل المحتضر)، ﴿وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي لا يستطيعون الرجوع إلى أهلهم ليَطمئنوا عليهم، بل يموتون في أسواقهم وأماكنهم، (وهذا كناية عن شدة السرعة بين الصيحة وهَلاكهم).

- الآية ٥١، والآية ٥٢: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾: أي نُفِخ في "البوق" النفخةُ الثانية، لترجع أرواحهم إلى أجسادهم ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾: أي يَخرجونَ من قبورهم مُسرعينَ إلى ربهم، فـ ﴿قَالُوا﴾ حينئذٍ - نادمين -: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾: يعني مَن أخرجَنا مِن قبورنا؟، **فيُقال لهم**: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فيما أخبروا به.

- الآية ٥٣، والآية ٥٤: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾: يعني ما كان البعث من القبور إلا نتيجة نفخة واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ﴾ أي جميعُ الخلق: ﴿لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ أي ماثِلون أمامنا للحساب والجزاء، ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ (لأن الحساب يتم بالعدل) ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

## ٣. الربع الأخير من سورة يس

- من الآية ٥٥ إلى الآية ٦٤: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ﴾ أي مَشغولونَ عن غيرهم، (وشُغلهم الشاغل هو التلذذ بأصناف النعيم)، وهم ﴿فَاكِهُونَ﴾ أي فَرِحونَ مَسرورون ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ أي في ظلال الجنة ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ﴾ أي يَجلسونَ مُتكئينَ على السُرُر المزيَّنة، تحت الظلال المُمْتَدَّة (والسُرُر جمع سرير)، ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾: أي لهم في الجنة من كل أنواع الفواكه اللذيذة، ﴿وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ﴾: أي يَتحقق لهم كل ما يَتمنونه ويَشتهونه، ولهم نعيمٌ آخر أكبر مما هم فيه، حين يَرون ربهم في الجنة، فيُكَلِّمهم قائلاً: ﴿سَلَامٌ﴾ أي سلامٌ لكم من كل مكروه، وقد كان هذا ﴿قَوْلًا﴾ لهم ﴿مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ﴾ بهم.

♦ ويُقال للكفار في ذلك اليوم: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي تميَّزوا عن المؤمنين، وانفصِلوا عنهم، ويقول الله لهم توبيخًا وتذكيرًا: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾: يعني ألم أوصِكم على ألسنة رُسُلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ ولا تطيعوه؟ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ أي عداوته ظاهرة للإنسان ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي﴾ يعني: وأمَرتكم بأن تعبدوني وحدي، ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ أي هذا هو الطريق القويم الموصل لجَنَّتي (وهو عبادتي وطاعتي ومعصية الشيطان) ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا﴾ أي خلقًا كثيرًا، ﴿أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾: يعني ألم يكن لكم عقل يَنهاكم عن اتِّباع الشيطان؟!، إذاً فـ ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي التي كنتم توعدونَ بها في الدنيا على كُفركم وتكذيبكم للرسل، ﴿اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾: أي ادخلوها لتلتهب أجسادكم فيها وتُعانوا مِن حَرّها الشديد، جزاءً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

- الآية ٦٥: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ أي نُغلق أفواههم فلا يستطيعون الكلام، ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ فتشهد بالمعاصي التي بَطَشتْ بها، ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ أي تَشهد أرجلهم بما سَعَتْ إليه من المعاصي.

- الآية ٦٦: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾ يعني: لو شئنا لأعمينا أبصارهم كما أغلَقنا أفواههم ﴿فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾: أي فحينئذٍ سارَعوا إلى الصراط ليَمُرُّوا فوقه ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾: يعني فكيف يَمُرُّونَ عليه وقد عُمِيَتْ أبصارهم؟!

- الآية ٦٧: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ يعني: ولو شئنا لَغَيَّرنا خَلقهم وأقعدناهم في أماكنهم على الصراط ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ أي فحينئذٍ لا يستطيعون أن يَمْضوا أمامهم على الصراط ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ وراءهم.

- الآية ٦٨: ﴿وَمَنْ نُعَمِّرْهُ﴾ أي نُطِلْ عمره حتى يصل إلى سن الشيخوخة: ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾: أي نُعِدْه في هذه السنّ إلى حال الطفولة مرة أخرى، فيَصير ضعيفَ العقل والجسد، بعد أن كان قوياً راشداً أثناء فترة شبابه، ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ القادر على أن يفعل ذلك بهم، قادرٌ أيضاً على بَعثهم بعد موتهم؟

- الآية ٦٩، والآية ٧٠: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾: أي ما عَلَّمنا رسولنا محمدًا الشِعر ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ أن يكون شاعرًا (وهذا ردٌ على مَن اتهموه كَذِباً بأنّ الذي يتلوهُ شِعراً)، فإنهم يَعلمونَ أنه لم يتعلم الشِعر طوال حياته، وكذلك يعلمون أن هذا القرآن لا يُشبه الشِعر في شيء (لا في الوزن ولا في القافية)، ﴿إِنْ هُوَ﴾ أي: ما هذا الذي يتلوه ﴿إِلَّا

﴿ذِكْرٌ﴾ يَتذكر به أصحاب العقول السليمة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ أي قرآنٌ واضح في تمييز الحق من الباطل، ومُوَضِّحٌ للأحكام والحِكَم والمواعظ ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعني: (حيَّ القلب والضمير) ﴿وَيَحِقَّ﴾ به ﴿الْقَوْلُ﴾ أي الحُكم بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ لأنهم قد قامت عليهم الحُجّة بالقرآن.

- الآية ٧١، والآية ٧٢، والآية ٧٣: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا﴾ - وهي الإبل والبقر والغنم - ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ أي: فهم مالكونَ لأمرها (يتصرفون فيها كما يشاءون)؟ ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ أي سَخَّرناها لهم لينتفعوا بها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ أي: منها ما يَركبونه في أسفارهم، ويَحملون عليها أثقالهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ بعد أن يذبحوها (ولولا هذا التسخير، لَمَا قدروا عليها أبداً)، ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ (كالانتفاع بأصوافها وأوبارها وأشعارها، إذ يَصنعون منها ثيابهم وأثاث بيوتهم وغير ذلك)، ﴿وَمَشَارِبُ﴾ إذ يَشربون ألبانها، ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾: يعني ألاَ يشكرونَ ربهم الذي أنعم عليهم بهذه النعم، فيُخلِصوا له العبادة، ولا يعبدوا معه أحداً مِن خلقه؟!

- الآية ٧٤، والآية ٧٥: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً﴾ يعني: ورغم هذه الأدلة على قدرة الله تعالى وإنعامه على خلقه، فإنّ المشركين قد اتَّخذوا من دون الله آلهةً يعبدونها ﴿لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ يعني إنهم عَبَدوها طمعًا في نَصْرها لهم وإنقاذهم من عذاب الله، (وذلك بشفاعتها لهم عند الله تعالى كما يزعمون)، كلا، ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾: أي لا تستطيع تلك الآلهة أن تنصر عابديها، ولا حتى تستطيع أن تنصر نفسها، ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ يعني: والمُشركون وآلهتهم جميعًا مُحضَرون في العذاب، مُتبرِّئ بعضهم من بعض.

- الآية ٧٦: ﴿فَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾: أي لا يَحزُنك أيها الرسول قول المُكَذِبين فيك بأنك شاعر، فإنَّ قولهم لا يَضُرّك شيئًا، ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ أي نعلم ما يُخفونه مِن الكِبر والعناد، ونعلم ما يُظهرونه للناس بهذه الأقاويل حتى يصدوهم عن الإيمان بك، وسنُجازيهم على ذلك كله (وفي هذا تصبيرٌ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم).

- من الآية ٧٧ إلى الآية ٨٠: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ﴾ المُنكِر للبعث ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ أي مِن ماءٍ حقير مُستقذَر، ثم أخرجناه مِن بطن أُمِّهِ لا يَعلم شيئاً، حتى إذا رَبَّيناهُ وأصبح رَجُلاً: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ يعني: فإذا به يَقْوى ويَغترُّ، ويُصبح شديد الجدال في إنكار البعث، ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ أي جَعَلَ إعادتنا للخلق أمراً عجيباً وغريباً ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ أي نَسيَ ابتداء خلقه، ونَسيَ قدرة ربه الذي خَلَقَه من العدم، فـ ﴿قَالَ﴾: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾: يعني مَن يستطيع أن يُحيي العظام المتفتتة؟ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ (وهذا هو القياس العقلي الواضح، إذ بالبَداهة أنّ مَن أوجد شيئاً من العدم، قادرٌ على إيجاد مِثله في أيّ وقت) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعني: وهو سبحانه عليمٌ بجميع خلقه، خبيرٌ بتكوينهم.

♦ ورغم أنّ لَفظ "العِظام" مؤنث إلا إنه تعالى ذَكَرَ معها لفظ "رميم"، ولم يَقُل "رَميمة"، وذلك لأن العظام ليست مؤنثاً حقيقياً، بل هي مؤنث مَجازي (يعني مما لا يَبيض ولا يَلد)، فلذلك يجوز أن تأتي مع لفظَي: (رميم) و(رميمة)، وهذا مِثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

♦ ثم ذَكَرَ سبحانه دليلاً آخر على قدرته على البعث، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾: أي أخرج لكم من الشجر الأخضر (الذي سارت الماء في أغصانه)، فأخرَجَ منه ﴿نَارًا﴾ مُحرقة ﴿فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾ يعني: فإذا أنتم توقدون النار من هذا الشجر الرطب، فهو سبحانه القادر على إخراج الشيء مِن ضِدّه، كما أخرج أمامكم النار من الماء (فكذلك يُخرج مِن الموتى أحياءً يوم القيامة).

– الآية ٨١، والآية ٨٢: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ (ويُعيدهم كما بدأهم؟) ﴿بَلَى﴾ إنه قادرٌ على ذلك، (بل إنّ هذا أهون عليه من خلق السماوات والأرض) ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لجميع المخلوقات، ﴿الْعَلِيمُ﴾ بتكوين الأجساد والأرواح التي خَلَقها، فلذلك لا يَصعُب عليه إعادتها مرة أخرى، و﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ أي شأنه سبحانه أنه ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ ﴿فَيَكُونُ﴾ يعني فإذا به كائنٌ موجود كما أرادَه الله.

– الآية ٨٣: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾: أي تَنَزَّهَ اللهُ وتَقدَّسَ عن العجز والشرك، فهو المالك لكل شيء، المتصرف في شؤون خلقه بلا مُنازِع أو مُمانِع، وقد ظهرتْ لكم دلائل قدرته وتمام نعمته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ بعد موتكم، ليحاسبكم ويجازيكم على جميع أعمالكم.

هذا الكتاب منشور في

شبكة الألوكة

www.alukah.net